القسم الثامن

مقطع عرضي بعــد الحرب

بماذا وشوّش الامريكان في أُذنك..وماذا أبقيت لي من صلاحيات وأنتپ تعلن برنامجاً لحكومتك..؟

صدام مخاطباً رئيس وزرائه

دعا الرئيس صدام حسين إلى عقد مؤتمر إستثنائي لحزب البعث كان الأول بعد الهزيمة في حرب الخليج وما تبعها من أحداث في أربع عشرة مدينة عراقية ، وتم جمع أعضاء المؤتمر الذين يقربون من مائتي عضواً على وجه السرعة في كلية الأمن القومي التابعة لجهاز المخابرات بعد سلسلة من الإنتخابات في فروع الحزب ومكاتبه المدنية والعسكرية.

لقد حضر أعضاء المكتب العسكري في الحزب وهم معبأون في إتجاهات محددة مسبقاً بعد أن إستمعوا إلى الملاحظات التي أدلى بها حسين كامل صهر الرئيس بإعتباره عضواً في المكتب العسكري حول عدد من أعضاء القيادة القطرية في الحزب، وكان معظم النقد الذي صدر عنه موجهاً ضد الدكتور سعدون حمادي الذي عُين بُعيد حرب الخليج رئيساً للوزراء، ودعا كامل صراحةً إلى إسقاط عضوية حمادي من قيادة الحزب بعد أن اتهمه بالعجز الإداري والفشـــل في معالجة الوضع الإقتصادي والتمييز بين الوزراء ..وكان يرد بذلك عليمواقف حمادي المتقاطعة مع رغباته في تصريف شؤون وزارات التجارة والمالية والنفط والصناعة والإسكان.

عند بدء المؤتمر القطري الإستثنائي جرى إختيار عزة إبراهيم وعلي حسن المجيد لرئاسة المؤتمر وإدارته، بعد أن كان قد تم توزيع الأدوار على أقارب الرئيس ومساعديه ليتناوبوا في توجيه النقد إلى أعضاء محددين في القيادة القطرية من خارج الدائرة المحيطة بالرئيس وعائلته، وكان واضحاً منذ البداية أن هناك قصداً مسبقاً في نقل مسؤولية الهزيمة من أكتاف مخططي عملية الكويت لتلُقى على كاهل أشخاص آخرين كانوا في صورة ما حدث ولكنهم لم يكونوا متمتعين بالحماية المعنوية من جانب الرئيس كما هو الحال بالنسبة لأقاربه والمتحدرين من قريتـــــــه..

فقد وقف حسين كامل وسط المؤتمر ليخاطب طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية قائلاً :

– إنّ كلينا عضو في هذا المؤتمر الآن ونتمتع بحقوق متساوية ولذلك سأكون صريحاً معك .. فقد كنتپ جباناً ومتردداً في قمع التمرد في محافظتي كربلاء والنجف .. وقد أضعتپ الكثير من الوقت عندما كنتپ مسؤولاً عن ذلك القطاع في تلك العمليات العسكرية.

ثم إلتفت إلى بعض القادة العسكريين المشاركين في المؤتمر وخاطبهم بأسمائهم قائلاً : إذا كنتُ مخطئاً فهؤلاء هم القادة العسكريون الذين كانوا في المنطقة ويستطيعون أن يصححوا لي في هذه الحالة.

عندئذٍ تناوب العسكريون على إظهار عيوب الإدارة لدى نائب الرئيس متهمين إياه بالتردد والخوف من إقتحام المدينتين.

ثم عاد حسين كامل ليخاطب طه رمضان : أنتپ لم تستطع أن تفعل شيئاً قبل أن أتولى أنا مسؤولية إقتحام المدينتين.

ثم إلتفت إلى طارق عزيز وقال له :

– أما أنتپ يا رفيق طارق فهل تستطيع أن تقول لي ماذا فعلت الدبلوماسية العراقية، وهل تستطيع أن تبرر الفشل الذي مُنيت به في كل مكان .. إنك منشغلٌ بأمورك الخاصة ويعنيك كثيرا أن تدخن السيجار وكأن تدخينه جزءٌ من العمل الدبلوماسي، لا بل لم تكن تتردد في تدخين السيجار أمام الرئيس القائد كما لم تكن تتردد في وضع الساق على الساق وأنت تجلس في حضرة سيادته.

والتفت إلى الدكتور سعدون حمادي ليقول له :

– إنـــك يا دكتور سعدون مسؤولٌ عما يعانيه العـراق من مشاكل إقتصادية .. وهل تعتقد أن مشاكل الإقتصاد ستحلها شهادتك في الدكتوراه .. إن أولادك يهربّون العملة خارج العراق ومن لا يستطيع أن يسيطر على أولاده لن يستطيع إدارة عمل الحكومة.

وقال حسين كامل :

– إنك تفرق بين الوزراء، ولديك مجموعة مدللة وأخرى غير مدللة..

وأشار إلى وزير المالية مجيد جعفركمثال للوزراء الذين يخصهم الدكتور حمادي برعايته، وهو موظف تربوي صغير أصبح سكرتيراً للجنة الشؤون الإقتصادية قبل أن يصبح وزيراً للمالية بعد إنتهاء الحرب.

ثـم أخذ الكلمة سبعاوي إبراهيم الأخ غير الشقيق للرئيس وكان قد أصبح مديراً للأمن العام فقال :

– .. نعم .. لطالما رصدنا أولاد الدكتور سعدون حمادي وهم يعملون في التهريب ويتعرضون لمصالح الناس .

عندئذٍ عقب الرئيس صدام على ملاحظات صهره وأخيه غير الشقيق مخاطباً الدكتور حمادي :

– هل تستطيع أن تقول لي يا دكتور سعدون بماذا وشوّش الأمريكان في أذنك .. ! .. منذ متى كنتپ تهتم بالتنظيمات الحزبية فوجدناك تذهب إلى المحافظات لتجمع التأييد في فروع الحزب .. ماذا كان في بالك ؟ .. ثم ما الذي جعلك تطرح ما أسميته برنامج الحكومة بعد توليك منصب رئيس الوزراء .. إذا كان هذا هو برنامجك فماذا سيبقى لي وهي نسيتني .. هل نسيت صلاحيات رئيس الجمهورية ؟

سكت صدام حسين قليلاً ثم قال:

– أما الملاحظات التي قالها الرفيق حسين كامل حول الرفيقين طارق وطه ففيها الكثير من الصحة لكن ما يشفع لهذين الرفيقين هو تاريخهما النضالي وولاؤهما الذي لا نشك فيه.

ثم باشر في توجيه اللوم إلى وزير الداخلية سمير محمد عبد الوهاب :

– لقد نسيتپ الأمن في بغداد، وكان يكفيك أن ترسل سيارات شرطة النجدة لتقف في الشوارع حتى يشعر الناس أن هناك سلطة قائمة .. لقد أبلغتك أكثر من مرة دون جدوى، أنتپ وزير فاشل، وليست لديك روح المبادرة .. أين كنتپ خلال الحرب ..

فعلق عزة إبراهيم : لقد طلبتُ منه أنا أيضاً أن يوزع سيارات الشرطة في الشوارع.

فعاد الرئيس ليقول : إذن لستُ وحـــدي من طلب منك ذلك .. إنك أنتپ المسؤول عن غياب الأمن وإنتشار الجريمة ..

ثم إلتفت إلى وزير الإعلام لطيف نصيف جاسم فأنتقد أداء وسائل الإعلام وقال له : إنكم لم تستطيعوا تصوير القصف على بغداد ولا نيران المدفعيات المضادة للجو .. ولم تكن إذاعتكم تصل إلى الشعب أو الجيش.

تأمل صدام حسين طويـــــلاً في وجوه الحاضـــرين من أعضاء الحـــزب ثم قال:

– لا تتوهموا فتعتقدون بأنكم أنتم الذين حميتم الحكم من السقوط بعد انتهاء الحـرب عندما واجهنا صفحة الغدر والخيانة.. الحزب لـم يحمه نظامنا من السقوط لكن الذي حمـاه هي الأجهزة الأمنية ، وقد ترون أحياناً أنني أُوكل مهمات كثيرة إلى أقاربي .. نعم هذا صحيح ..إنني لا أرجوهم لكي يقوموا بأعمالهم .. و لا أقول لهم أيها الرفيق العـــزيز رجاءً قُم وأذهب إلى واجبك الفلاني ، بـل أقول لهم أركض يا حسين ..واسرع يا علي ..وهم يعرفون أن عليهم أن ينفذوا دون تلكؤ ، لذلك لا تقولوا يوماً إن تنظـيمات الحزب هي التي منعتنا من السقوط في الساعات الحرجة.

في كل مرة كان ينتقد فيها أحد أعضاء قيادته يعطي الإشارة واضحةً إلى أعضاء المؤتمر للإمتناع عن إنتخاب أولئك الذين أُلقيت عليهم تبعات الأداء السياسي والعسكري والإقتصادي المضطرب خلال الحرب.

بإنتهاء المؤتمر سقط سعدون حمادي من رئاسة الوزارة وأُقيل وزير المالية .. وطُرد عبد الحسن راهي فرعون من عضوية القيادة القطرية، وحصل طارق عزيز وطه رمضان على أقل نسبة من الأصوات التي تؤهلهما للإحتفاظ بعضوية القيادة القطريـة.